

٤٢ - باب فضل بر أصدقاء الأب والأم والأقارب والزوجة وسائر من يندب إكرامه

٣٤١ - عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي قَالَ (إِنَّ أَبْرَّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وَدَّ أَبِيهِ)

٣٤٢ - وعن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ، قَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، إِنَّهُمْ الْأَعْرَابُ وَهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وَدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: إِنَّ أَبْرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الرَّجُلِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ) .

وفي رواية عن ابن دينار، عن ابن عمر: أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ إِذَا مَلَ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ، وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بِهَا رَأْسَهُ، فَبَيْنَا هُوَ يَوْمًا عَلَى ذَلِكَ الْحِمَارِ إِذْ مَرَّ بِهِ أُعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: أَلَسْتَ فُلَانٌ بِنَ فُلَانٍ؟ قَالَ: بَلَى. فَأَعْطَاهُ الْحِمَارَ، فَقَالَ: ارْكَبْ هَذَا، وَأَعْطَاهُ الْعِمَامَةَ وَقَالَ: اشْدُدْ بِهَا رَأْسَكَ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ أَعْطَيْتَ هَذَا الْأُعْرَابِيَّ حِمَارًا كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيْهِ، وَعِمَامَةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأْسَكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَبْرِّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُؤْتِي» وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقًا لِعُمَرَ ﷺ (رَوَى هَذِهِ الرِّوَايَاتِ كُلَّهَا مُسْلِمٌ .

=====

(عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ) الْعَدَوِيُّ مَوْلَاهُمْ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَدِينِيُّ، مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ، ثِقَةٌ .

(إِنَّ أَبَا هَذَا)؛ أَي: إِنَّمَا فَعَلْتَ هَذَا؛ لِأَنَّ أَبَا هَذَا الْأُعْرَابِيَّ .

(كَانَ وَدًّا) قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: رَوَيْنَاهُ بِضَمِّ الْوَاوِ، وَكَسْرِهَا: أَي: صَدِيقًا مِنْ أَهْلِ مَوَدَّتِهِ، وَهِيَ مَحَبَّتُهُ. لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ .

(أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ) الْوُدُّ هُنَا مَضْمُومُ الْوَاوِ .

١- الحديث دليل على فضل صلة أصدقاء الأب، والإحسان إليهم، وإكرامهم، وهو متضمن لبر الأب، وإكرامه؛ لكونه بسببه .

قال النووي رحمه الله: ويلتحق به أصدقاء الأم، والأجداد، والمشايخ، والزوج، والزوجة، وقد سبقت الأحاديث في إكرامه خلائل خديجة رضي الله عنها .

٢- كثرة فضائل عبد الله بن عمر، فمنها شدة وفائه وحبه لأبيه، ووصل أحبائه بعد موته، واستجابته لسنة رسول الله ﷺ، وإنفاقه من طيب ماله، وإيثاره غيره على نفسه.

٣- امتثال الصحابة ﷺ، ورغبتهم في الخير ومساعدتهم إليه.

٤- من تمام بر الوالدين صلة أصدقائهما بعد موتهما، وصورة ذلك: أنه إذا كان لأبيك أو أمك أحد بينهم وبينه وُدٌّ فأكرمهم، كذلك إذا كان هناك نسوة صديقات لأمك؛ فأكرم هؤلاء النسوة، وإذا كان رجال أصدقاء لأبيك؛ فأكرم هؤلاء الرجال، فإن هذا من البر بهما، ويحصل بالقليل، فمن لم يجد فبالزيارة أو الكلمة الطيبة.

٥- سعة رحمة الله - عز وجل -، حيث إنَّ البرَّ بابُه واسع لا يختص بالوالد والأم فقط؛ بل حتى أصدقاء الوالد وأصدقاء الأم، إذا أحسنت إليهم فإتِّمَّ بررت والديك فتثاب ثواب البار بوالديه.

٣٤٣ - وعن أبي أسيد - بضم الهمزة وفتح السين - مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قَالَ (بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بَرِّ أَبِيي شَيْءٌ أُبْرُهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتَهُمَا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ هُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا) .
رواه أبو داود

=====

١- الحديث دليل على وجوب البر بالوالدين بعد موتهما كما يجب في حياتهما .

الحق الأول : (الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا) :

أي الدعاء لهما .

بأن يقول الإنسان: اللهم وسِّع لوالدي في قبرهما، اللهم أفسح لهما في قبرهما مد بصرهما، مثلاً بأن يدعو للوالد: اللهم ارفع درجته، اللهم تجاوز عنه، اللهم شقِّع فيه سيد الأولين والآخرين، هذا هو الدعاء للوالدين.

عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) رواه مسلم.

فبيِّن الحديث أنَّ عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع عنه تجدد الثواب إلا في هذه الأشياء الثلاثة، ومنها: دعاء الولد الصالح؛ لأنه كان سبباً في وجوده وصلاحه، وإرشاده إلى الهدى.

الحق الثاني : (وَالِاسْتِغْفَارُ هُمَا) :

كأن يقول : رب اغفر لي ولوالدي .

والنبي عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول (إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ) .

فهنا جاء دور الولد الصالح، أن يدعو لوالديه بعد وفاتهما .

وكذلك الله تعالى ذكر في القرآن قوله تعالى (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) ، فهذا من الدعاء الواجب للوالدين بعد وفاتهما، هذا من أعظم الحقوق للآباء على الأبناء بعد وفاة الوالدين.

ومن ذُكِرَ بِهِمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، نوح عليه السلام، حيث قال (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) .
وقال إبراهيم عليه السلام (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) .

وقال النبي ﷺ (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! أُنِّي لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ)
رواه أحمد .

وقال أبو هريرة (تُرْفَعُ لِلْمَيِّتِ بَعْدَ مَوْتِهِ دَرَجَتُهُ. فَيَقُولُ: أَي رَبِّ! أَي شَيْءٍ هَذِهِ؟ فَيُقَالُ: وَلَدُكَ اسْتِغْفَرَ لَكَ) رواه البخاري في "الأدب المفرد".

الحق الثالث : (وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا) .

فقد يوصي الأب أو الأم بمقدار الثلث، فينبغي على الأبناء ألا يكونوا بخلاء، وألا يغدروا بالعهد مع والديهم، بل بالعكس يكونوا أوفياء مع والديهم حتى بعد وفاتهم، فيخرجوا الوصية؛ لأنه ربما أن الوالد قبل وفاته أو الأم قبل وفاتها توقف بيتاً للفقراء والمساكين أو داراً لتحفيظ القرآن الكريم، أو أخرج مبلغاً من المال لطباعة المصحف الشريف وتوزيعه على البلاد الإسلامية الفقيرة ليتعلم منه أبناء المسلمين، وليقرأ منه رجال ونساء المسلمين، أو أن الوالد أوصى بجفر بئر أو غرس نخل ليأكل من ثمره الفقراء.

الحق الرابع : (وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهَمَا) .

وقد جاء في حديث أبي بريدة رضي الله عنه قال: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَأَتَانِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ - رضي الله عنهما - فقال: أتدري لم أتيتك؟ قلت: لا، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِلَ أَبَاهُ فِي قَبْرِهِ؛ فَلْيَصِلْ إِخْوَانَ أَبِيهِ بَعْدَهُ [أي: أصدقاء أبيه من بعد موته]، وإنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاءٌ ووُدٌّ، فأحببتُ أن أصلَ ذاك) حسن رواه ابن حبان في "صحيحه"؛ وأبو يعلى في "مسنده".

الحق الخامس : (وَإِكْرَامُ صَدِيقَيْهِمَا) .

كما تقدم في الحديث السابق (إِنَّ أَبَرَ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَالِدِ أَهْلًا وَوَدَّ أَبِيهِ) .

٣٤٤ - وعن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ (مَا غَزَتْ عَلَيَّ أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَا غَزَتْ عَلَيَّ خَدِيجَةَ رضي الله عنها، وَمَا رَأَيْتُهَا قَطُّ، وَلَكِنْ كَانَ يُكْتَبُ ذِكْرُهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يَقَطُّعُهَا أَغْضَاءً، ثُمَّ يَبْعُثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا إِلَّا خَدِيجَةَ! فَيَقُولُ: «إِنَّمَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية (وَإِنْ كَانَ لِيذْبَحُ الشَّاةَ، فَيَهْدِي فِي خَلَائِلِهَا مِنْهَا مَا يَسْعُهُنَّ) .

وفي رواية (كَانَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، يَقُولُ: أَرْسَلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَائِ خَدِيجَةَ) .

وفي رواية: قَالَتْ (اسْتَأْذَنْتُ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ، فَارْتَاخَ لِذَلِكَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ» .

قوله: «فَارْتَاخَ» هُوَ بِالْحَاءِ، وَفِي الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّحِيحِينَ لِلْحَمِيدِيِّ (٣): «فَارْتَاخَ» بِالْعَيْنِ وَمَعْنَاهُ: اهْتَمَّ بِهِ.

=====

(فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ) أي: تذكّر صفة استئذانها؛ لِشَبَهِ صَوْتِهَا بِصَوْتِ أُخْتِهَا، فَتَذَكَّرَ خَدِيجَةَ بِذَلِكَ.

قال القرطبي رحمه الله: قولها: "فعرَفَ استئذان خديجة"؛ أي: تذكّر عند استئذان هالة خديجة، وكان نعمة هالة كانت تُشبهه نعمة خديجة، وأصلُ هذا كله أن من أحب محبوباً أحب محبوباته، وما يتعلق به، وما يُشبهه.

(فَارْتَاخَ لِذَلِكَ) بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ؛ أي: اهتزّ لذلك سروراً، ويُروى: "فارتاخ" من الرَّوْعِ بفتح الراء؛ أي: فزع، والمراد من الفزع لازمته، وهو التغيّر.

وقال النووي رحمه الله: قولها: "فارتاخ لذلك"؛ أي: هتّسّ لحيثها، وسرّ بها؛ لتذكّره بها خديجة، وأيامها .

(فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ) أي: يا الله اجعلها هالة .

١- قولها (مَا غَزَتْ عَلَيَّ أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَا غَزَتْ عَلَيَّ خَدِيجَ) قال في "الفتح": فيه ثبوت الغيرة، وأنها غير مستنكر وقوعها من فاضلات النساء، فضلاً عن دونهنّ، وأن عائشة كانت تغار من نساء النبي صلى الله عليه وسلم، لكن كانت تغار من خديجة أكثر، وقد بيّنت سبب ذلك، وأنه لكثرة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم إياها، ووقع في رواية أصرح من هذا، حيث قال فيها: (من كثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها) .

وأصل غيرة المرأة من تحيّل محبة غيرها أكثر منها، وكثرة الذِّكر تدل على كثرة المحبة.
وقال القرطبي: مرادها بالذِّكر لها: مدحها، والثناء عليها.

ووقع عند النسائي من رواية النضر بن شميل عن هشام (من كثرة ذكره إياها، وثناؤه عليها) فَعَطَفَ الثناء على الذِّكر من عَطَفَ الخاصّ على العامّ، وهو يقتضي حمل الحديث على أعمّ مما قاله القرطبي، قاله في "الفتح" »

وفي رواية (مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَلَقَدْ هَلَكْتُ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلَاثِ سِنِينَ، لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا) .
قولها (وَلَقَدْ هَلَكْتُ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي) أشارت بهذا إلى أنّها لو كانت موجودة في زمانها لكانت غيرها منها أشدّ .

قال القرطبي رحمه الله: هذا بيان للسبب الحامل لها على الغيرة ، قولها: (يذكروها) أي: بمدحها، وبثني عليها، ويذكر فضائلها ، وذلك لفرط محبتها إياها، ولما اتّصل له من الخير بسببها، وفي بيتها، ومن أحبّ شيئاً أكثر من ذكره؛ ولذلك قال النبي ﷺ إني رزقت حبها .

٢- قولها (إنها كانت، وكانت) أي: كانت فاضلةً، وكانت عاقلةً، ونحو ذلك .

وعند أحمد من حديث مسروق، عن عائشة: (آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقني إذ كذّبني الناس، وواستني بما لها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء) .

٣- قوله (وكان لي منها ولد) وكان جميع أولاد النبي ﷺ من خديجة إلا إبراهيم، فإنه كان من جاريتها مارية، والمتفق عليه من أولاده منها القاسم، وبه كان يُكْنَى، مات صغيراً قبل المبعث، أو بعده، وبناته الأربع: زينب، ثم رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، وقيل: كانت أم كلثوم أصغر من فاطمة، وعبد الله، وُلد بعد المبعث، فكان يقال له: الطاهر، والطيب، ويقال: هما أخوان له ، ومات الذكور صغاراً باتفاق، ذكره في (الفتح) .

٤- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ (لَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خَدِيجَةَ حَتَّى مَاتَتْ) .

قال في "الفتح" : هذا مما كافأ النبي ﷺ به خديجة في الدنيا حيث إنه لم يتزوج في حياتها غيرها، قال: وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار، وفيه دليل على عِظَمِ قَدْرِهَا عنده، وعلى مزيد فضلها؛ لأنها أغنته عن غيرها، واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين؛ لأنه ﷺ عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاماً، انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاماً، وهي نحو الثلاثين من المجموع، ومع طول المدة فَصَانَ قلبها فيها من الغيرة، ومن نكّدت الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك، وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها، ومما اختصت به سَبَقُهَا نساء هذه الأمة إلى الإيمان، فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها، فيكون لها مثل أجرهنّ؛ لِمَا ثبت أن (من سنَّ سُنَّةَ حَسَنَةً...) الحديث) وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالنسبة إلى الرجال، ولا يَعْرِفُ قَدْرَ ما لكلٍ منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله عز وجل . (الفتح) .

٥- وكونه ﷺ يُهدي لخلائل خديجة: دليل على كرم خُلُقِهِ صلى الله عليه وسلم، وحُسْنِ عَهْدِهِ، ولذلك كان يرتاح لهالة بنت خويلد إذا رآها، وَيَهْشُ إِكْرَامًا لها، وسروراً بها. انتهى»

٦- قال النووي: في هذه الأحاديث دلالة لحسن العهد، وحفظ الودّ، ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حيّاً وميتاً، وإكرام معارف ذلك الصاحب .

٧- بيان شدّة حب النبي ﷺ خديجة رضي الله عنها، حيث كان يرتاع لسماح صوت أختها.

٨- بيان ما مجلبت عليه المرأة من شدّة الغيرة، ولو كانت صالحة عاملة تقية، كعائشة رضي الله عنها .

٩- الحديث دليل على أن حسن العهد من الإيمان.

فإن النبي ﷺ لم ينسى العهد لخديجة، فقد كان يرسل اللحم لصديقات خديجة.

قال النووي -رحمه الله-: في هذا الحديث دلالة بحسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والمعاشرة حياً وميتاً، بل وإكرام معارف ذلك الصاحب. (نووي).

وقد بوب البخاري عليه باباً : حسن العهد من الإيمان .

وقال القسطلاني: فإن قلت: ما وجه المطابقة بين الحديث والترجمة؟ أجيب: بأن لفظ الترجمة ورد في حديث عائشة عند الحاكم والبيهقي في الشعب من طريق صالح بن رستم عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت (جاءت عجوز إلى النبي ﷺ فقال: كيف أنتم حالكم كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت قلت: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال فقال: يا عائشة إنما كانت تأتينا زمان خديجة وإن حسن العهد من الإيمان) فاكتفى البخاري بالإشارة على عادته تشحيذاً للأذهان تغمده الله تعالى بالرحمة والرضوان.

وقال ابن بطال: حسن العهد في هذا الحديث هو إهداء النبي ﷺ اللحم لأجوار خديجة ومعارفها رعيًا منه لدامها وحفظاً لعهداها كذلك قال أبو عبيد: العهد في هذا الحديث الحفاظ ورعاية الحرمة والحق، فجعل ذلك البخاري من الإيمان؛ لأنه فعل بر وجميع أفعال البر من الإيمان.

وقال العيني: مطابقتة للترجمة في حسن العهد وهو إهداء النبي ﷺ، اللحم لإخوان خديجة ومعارفها ورعيًا منه لدامها وحفظاً لعهداها. (العمدة).

ولهذا كان النبي ﷺ يكرم حتى معارف وصواحب خديجة، حباً لها، ورعاية لعهداها، فيرسل إليهن الطعام ما يكفيهن.

وقد جاء في حديث عائشة قالت (جاءت عجوز إلى النبي ﷺ قال: "يا عائشة إنما كانت تأتينا أيام خديجة"، إكراماً لخديجة، وإن حسن العهد من الإيمان) رواه الحاكم.

وعن أبي الطفيل قال (رأيت النبي ﷺ يقسم لحمًا بالجعرانة، وأنا يومئذ غلامٌ أحمل عضو البعير، فأنته امرأة فبسط لها رداءه، قلت: من هذه؟ قيل: هذه أمه التي أرضعته، أي: هي حليلة السعدية -رضي الله عنها-، مد لها رداءه) رواه البخاري في الأدب المفرد. كان أسامة بن زيد أحب الناس إلى رسول الله ﷺ فلما مات النبي ﷺ، أحبه الصحابة أكثر من أولادهم؛ لأنه كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ قال النبي ﷺ: من أحبني فليحب أسامة).

وهذا من رعاية الحرمة، وحسن العهد، بالذي كان بينهم وبين النبي ﷺ .

وكان عبد الله بن سلام مؤاخياً لأبي الدرداء رضي الله عنهما. فلما مات عبد الله بن سلام ذهب ولده يوسف إلى الشام ليسأل عن أبي الدرداء (تجديداً للعهد، ورعاية للحرمة والألفة، وتأديئةً للحقوق. فإن أبا الدرداء كان محباً لعبد الله بن سلام). فجاءه يوسف وهو يحتضر قد قارب مفارقة الدنيا. ففرح به أبو الدرداء.

٣٤٥ - وعن أنس بن مالك ﷺ قَالَ (خَرَجْتُ مَعَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكَانَ يَخْدُمُنِي، فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَفْعَلْ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الْأَنْصَارَ تَصْنَعُ بَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَصْحَبَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا خَدَمْتُهُ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

=====

(قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ) الصحابي المشهور، المتوفى سنة (٥١) وقيل: بعدها، وفي رواية البخاري (صَحِبْتُ جَرِيرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ) .

(فِي سَفَرٍ) لم يُعَيَّن هذا السفر، فيحتمل أن يكون سفر جهاد، أو حجّ، أو نحو ذلك، والله تعالى أعلم.
(فَكَانَ) جرير رضي الله عنه .

(بِجَدْمِي) بكسر الدال، وضمّهما ، وفي رواية البخاريّ (فكان يخدمني، وهو أكبر من أنس"، قال في "الفتح": فيه التفات، أو تجريد؛ لأنه قال: "من أنس"، ولم يقل: مني، وفي رواية مسلم، عن محمد بن المثني، عن ابن عرعة: "وكان جرير أكبر من أنس"، ولعل هذه الجملة من قول ثابت.

(فَقُلْتُ لَهُ) أي : قال أنس لجرير .

(لَا تَفْعَل) هذه الخدمة لي ، لأنك أكبر منّي .

(فَقَالَ) جرير .

(إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الْأَنْصَارَ)؛ أي: القبيلة المشهورة، وهي قبيلة أنس .

(تَصْنَعُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا)؛ أي: من خدمة رسول الله ﷺ كما ينبغي، ومن تعظيمهم إياه غاية ما يكون، وأبهم ذلك مبالغة في تكثير ذلك. (أَلَيْتُ) بالمد؛ أي: حلفت .

(أَنْ لَا أَصْحَبَ أَحَدًا مِنْهُمْ)؛ أي: من الأنصار .

(إِلَّا خَدَمْتُهُ)؛ أي: إكرامًا لأنصار رسول الله ﷺ الذين بذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيل النصرة له ﷺ. وفي رواية البخاريّ (لا أجد أحدًا منهم، إلا أكرمته) وفي رواية للإسماعيليّ من وجه آخر، عن ابن عرعة (لا أزال أحبّ الأنصار) .

١- بيان فضل الأنصار، وإنما حصل لهم ذلك ببذلهم نفوسهم، وأموالهم في نصرة رسول الله ﷺ، وأصحابه المهاجرين.

٢ - فضل جرير رضي الله عنه، وتواضعه، ومحبته للنبي ﷺ، فإنه ما حصل له محبة الأنصار، وخدمتهم إلا بمحبته رضي الله عنه .

٣ - أن فيه خدمة أهل الفضل، والعلم، ومحبتهم، وإكرامهم، والتودّد إليهم، والله تعالى أعلم.

٤- تواضع صحابة رسول الله ﷺ وفضلهم .

٥- توقير الكبير واحترامه .